سردانابال

(انظر الصورة التاريخية في هذا الجزء)

ذكر المؤرخ كتيزياس اليوناني اموراً غريبة في ما دوّنه من التاريخ ايام كان طبيباً في بلاط أحد ملوك قادي عَلَى اثر انتقال السلطة الى تلك البلاد الفارسية عقيب سقوط بابل وأشور · وفي مروياته أساطير أقرب الى الخرافة منها الى الحقيقة ولا سيما في ما كتبه عن ملوك بابل وأشور · وذلك لان ما كتبه عنها لم يكن كتابة معاصر رأى الامور بعينه او سمعها من مصدر ثقة فدوّنها بتحفظ ، بل كتابة متأخر عاش بعد أجيال فدوّن ما دوّنه مستنداً عَلَى ما سمعه من المرويات الواهية والاقاصيص المنتشرة التي يزخرفها الناقل ويوسع نطاقها قبل ان يسلمها الى خلفه · فلهذا نرى ان كثيراً من مشاهير الملوك الذين أورد كتيزياس ذكرهم كانوا من اشخاص الخرافة لا من ابطال التاريخ · من هذا القبيل سميراميس التي ذكرنا شيئاً عنها في الجزء الثاني وسردانابال الذي نحن بصدده الان

وهاك قصة سردانابال ملخصة عن كتيزياس

كان سردانابال الاخير بين ملوك اشور وبه ختمت دولتهم وانقضى امرهم · وعَلَى ايامه سقطت نينوى في يد العدو فدكها وتركها قاعاً صفصفاً حتى لم يبقَ للمدينة أثر · وكان سردانابال كل مدة ملكه منقطعاً الى اللهو

منعكفا عَلَى اللذات والقصف داخل قصره لا يثنيه عن ذلك همٌ ولا رغبة حتى رُوي عنه انه كان يرتدي بملابس نسآء قصره ويقضي الوقت مع جواريه بالسكر والطرب · عَلَى انه لما هاجم العدو المدينة طرخ عنه تخنثه ونفض غبار لهوه ونهض يذب عن مملكته فدافع مع جيشه دفاع الابطال · ولما اخترق الاعداء اسوار عاصمته ورأى ان لا مناص له من الوقوع في ايديهم بنى لنفسه محرقة عالية داخل قصره جمع اليها كنوزه ونساءه وجواريه وجلس عَلَى سدتها العالية وأمر باشعالها فاحترق ومن معه ·

اما التاريخ المثبت فلا يقول شيئاً عن سردانابال البتة · بيد أن في عداد ملوك اشور ملكين يشابه اسمهما اسم سردانابال وهما اشوردنيبال واشوربانيبال وهنا مجال للنظر · فقد يكون المؤرخ اليوناني مسخ اسم احدهما ونسب اليه ما نسبه · أ ولا يستغرب ان يكون قد جمع بين الاثنين وخلط تاريخهما ودوّن منه قصة سردانابال · فان اشوردنيبال حاصره اخوه في احدى المدن فانتحر أو قتل في الحصار · واشوربانيبال كان ملكاً في عصر سقوط نينوى وكان مخلداً الى السكينة والسلم لا يحب الحرب ·

ولكن نفى البحث والتنقيب من مظان التاريخ ما كان يعد بمثابة الحقائق · ومن الغريب ان تكون سميراميس التي يُعزى اليها بناء نينوى ونشر سلطة اشور وسردانابال الذي يُنسب اليه سقوطها شخصين وهميين عَلَى ما في قصتهما من المجد والغرابة والزخرفة ·